

## الظاهرة الاستعمارية: الإطار العام والمفاهيم

قبل الإحاطة بموضوع الظاهرة الاستعمارية في جوانبها ونماذجها علينا أولاً أن نقف على المفاهيم والدلالات المتعلقة بهذه الظاهرة إضافة إلى معرفة الظروف العامة والأسباب وأشكال الاستعمار في القارات الثلاث وخاصة قارتي أفريقيا وآسيا.

يقصد بلفظ الاستعمار قيام دولة كبرى قوية بالسيطرة الكاملة خارج مجالها الحيوي على دولة ضعيفة تعرف تدهوراً وركوداً دون موافقتها ورضا شعبيها حيث تسيطر على أراضيها وتتحكم في سيادتها. تقوم هذه السيطرة على:

- استغلال الاقليم اقتصادياً واستنزاف ونهب ثرواته.

- تهديم سكانه وإبادتهم وتهجيرهم ونفيمهم

- تغيير مقوماته الشخصية (التاريخ، واللغة والدين)

يمكن تقسيم الاستعمار إلى ثلاثة أنواع:

الاستعمار التقليدي هو استعمار أوروبي قاده اسبانيا والبرتغال خلال نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر وقد جاء نتيجة الكشوفات الجغرافية وملاحقه مسلي الاندلس وقد برز أكثر في أمريكا الجنوبية وسواحل المغرب العربي ورأس الرجاء الصالح وخليج عدن وجزر الهند الشرقية...

أما الاستعمار الأوروبي الحديث فقد مثلته القوى الأوروبية الكبرى مثل فرنسا، بريطانيا، هولندا، بلجيكا، ألمانيا، وإيطاليا. وقد ظهر ما بين القرنين 19 و 20 و شمل أكثر افريقيا و اسيا...

إضافه الى الاستعمار الجديد والذي ينعت بالامبريالية ويعني به تلك الهيمنة والسيطرة بلد ما في شتى المجالات دون تدخل عسكري، وتمثله بشكل كبير الولايات المتحدة الأمريكية مستخدمة عدة وسائل ومؤسسات.

كما يمكن تقسيمه حسب الأشكال فنجد الاحتلال المباشر والذي عادة ما يرفق بالاستيطان فيفقد الإقليم المستعمر سيادته الداخلية والخارجية فيصبح إقليمياً مستعمراً وليس دولة.

يتميز الاحتلال بإبادة الشعب الاصلي وتهجير السكان ومصادرة الأراضي لتسهيل عملية الاستيطان إضافة الى سن قوانين تعسفية في شتى المجالات.

الحماية Protectorat هو شكل استعماري جديد ظهر بعد مؤتمر برلين الثاني 1884-1885 وجاء خصيصا لتقسيم ممتلكات إفريقيا وهدف إلى استكمال احتلال القارة السمراء . في مؤتمر برلين الأول طرحت الحماية للدولة الضعيفة وطبق في مؤتمر برلين الثاني والغرض من هذا الشكل ادعاء حماية دولة أوروبية كبرى لدولة أخرى ضعيفة اقتصاديا وسياسيا، ومن وراء ذلك تكون حماية الممتلكات.

وكمثال عن ذلك فرض الحماية الفرنسية على تونس 1881م وذلك بعد وقوع تونس في أزمة مالية 1878م فأقرضتها فرنسا أموالا ( 4 ملايين فرنك )وقد عجزت تونس عن تسديدها ففرضت عليها الحماية . الحماية البريطانية على مصر 1882 (طريقة القروض + شركة قناة السويس)، والحماية المزدوجة على المغرب الأقصى سنة 1912 (الأزمات ومبدأ التراضي).

الانتداب Mandat وهو شكل من أشكال الاستعمار ظهر بعد الحرب العالمية الأولى وقد أقرته عصبة الأمم في ميثاقها خاصة في المادة 22 والتي تقوم على أن الدولة القوية ان تتكفل بتسيير أمور وشؤون دوله ضعيفة حتى تصبح قادرة على حكم نفسها بنفسها.

وكمثال عن ذلك الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين والانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان وذلك بعدها اتفاقية سايكس بيكو.

الوصاية يعد هو الآخر شكل من أشكال الاستعمار وقد ظهر بعد الحرب العالمية الثانية ويعني وصاية دولة أو شركات بإدارة دولة ضعيفة مثل وصاية الولايات المتحدة الأمريكية على ليبيريا.

إذا كانت أشكال الاستعمار قد انقسمت على قسمين وتمثلت في طرق مباشرة وأخرى غير مباشرة فإن طرق التوغل الاستعماري قد تعددت معتمدة على الحيل والدهاء السياسي ومستغلة العلاقات والظروف الدولية ؛ ومنها :

الامتيازات والقروض ودور الشركات التجارية (شركة الهند الشرقية) وانشاء المراكز والقواعد التجارية إضافة الى الاتفاقيات الودية والسرية وفق مبدأ التراضي ، والوعود السرية وعقد المؤتمرات واستثمار رؤوس الأموال ومنح الاعراءات والهدايا والغزو الديني والثقافي ( الثقافة الفيكتورية)...